**المحاضرة الرابعة عشر: موسيقى الشعر.**

الموسيقى عنصر جوهري في الشعر و لا قوام له بدونها ،و هي أقوى عناصر الإيحائية فيه، و موسيقى الشعر ترجع أساسا إلى الوزن و القافية إذ ينشأ عنهما وحدة النغم و الإيقاع ( المراد بالنغم الوزن الذي تسير عليه القصيدة و المراد بالإيقاع وحدة هذا النغم أي التفعيلة) .  
 فالوزن ( البحر) الذي تسير عليها القصيدة يوفر لها توازنا في جميع العناصر الموسيقية عن طريق نظام محكم في التفاعيل و الحركات و السكنات، فتكون تموجات النغم منتظمة متسلسلة ليس فيها اضطراب و لا نشاز، و تمضي محتفظة بالرنين نفسه إلى نهاية القصيدة، فكأننا حين نسمع إلى موسيقى منتظمة في اهتزازاتها وموجاتها الصوتية يضاف إلى ذلك أن انسجام الألفاظ بعضها مع بعض، و دقة اجتماعها بعضها إلى بعض و يمنحها قوة ذاتية و يجعل لها من الإيحاء و التأثير ما لا يكون لها في الكلام غير الموزون .

**أولا: الهندسات الموسيقية:**

يعتبر الإيقاع تنظيما لأصوات اللغة في إطار معين، بيد أنه يتسع ليشمل عناصر أخرى تراعي خصائص الأصوات من الجهر والهمس والنبر والتنغيم، فضلا عن ظاهرة التكرار وضروب البديع وغيرها، وقد يرتبط الإيقاع هنا بالسجع لا بالوزن العروضي لذا يرى عبد الله الغذامي فرقا بين الوزن والإيقاع فيقول: "ويعرف قراء الشعر أن لكل قصيدة وقعا على قارئها يختلف عما سواها من قصائد حق وإن تماثل وزنهن العروضي... والسبب في ذلك أن لكل كلمة لغوية وزنا عروضيا، ولها وزن صرفي، كما أن لها نظاما مقطعيا وفيها نظام نبري"([[1]](#footnote-2)).

فالوزن وحده لا يجعل من الكلام شعرا، لأن الشعرية تشمل المستوى الدلالي والمستوى الصوتي، فضلا عن سائر العناصر الأخرى، لذا حرص الشاعر المعاصر على القيمة الصوتية للأحرف والمفردات، مثلما حرص على قيمتها الدلالية والبلاغية في سياق النص الإبداعي لأن الأسرار الكامنة في الأحرف والكلمات لها القدرة على تحقيق محرك الانفعالات لدى المتلقي، فيفوز بجائزة الإعجاب حينا، وجائزة التأثير والإقناع حينا آخر، وقد حدد **أدونيس** بعض العناصر التي تحقق للشاعر هذا الإيقاع ومنها " التوازي والتكرار والنبرة والصوت وحروف المد و تزاوج الحروف وغيرها."([[2]](#footnote-3))، وفي ذات الصدد يقول مصطفى السيوفي: " الحالة النفسية السارية في ثنايا الأبيات هي التي يسميها النقاد بالموسيقى الخفية، هي التي تدفع المبدع من الشعراء إلى أن يختار من الألفاظ ما يوحي إيحاء صادقا، بما يريد التعبير عنه في صدق وقوة، يستشعر القارئ أو المتذوق أنه أمام بناء فني متكامل الأجزاء قد وضع فيه كل شيء في دقة وإحكام، أحسن مبدعه في إدراك أسرار الجمال ومواطن الحسن، وكأنه أمام لحن موسيقي متناسق النغم ينساب إلى النفس فيأخذ بمجامع الأفئدة؟"([[3]](#footnote-4))

فالهندسات الموسيقية تجسد لنا مايلي:

ـ التنسيق الفني بين الأصوات والمقاطع.

ـ إدراك مواقعها لغرض فني أو معنوي.

ـ الربط بين دقة الاختيار وروعة الإبداع.

ـ سبك المعنى وحبك الفكرة وتنغيم الإيقاع.

ومن أمثلة ذلك قول محمود درويش:[[4]](#footnote-5)

**أنا نبي الأنبياء**

**وشاعر الشعراء**

**أنا أول القتلى وآخر من يموت**

**إنجيل أعدائي وتوراة الوصايا اليائسة**

في هذا المقطع إشارة للنبي موسى عليه السلام، والمسيح عيسى عليه السلام، والشاعر يضع نفسه موضه هذين النبيين على الرغم مما تعرضا له من صعوبات واصلا الدرب، واستطاعا أن ينشرا تعاليمهما التي ما تزال سائرة حتى الآن بجميع انحرافاتها التي اكتسحتها عبر التاريخ، وقد ساعده صوت الهمزة على إبراز هذا المعنى، فالهمزة في شعر درويش تعد ملمحا صوتيا بارزا يوضح ثبات الشاعر وإصراره على نيل مبتغاه مهما كان الثمن.

وقال في موضع آخر:[[5]](#footnote-6)

**سقط القناع**

**عن القناع .... عن القناع**

**عرب أطاعوا رومهم**

**عرب وباعوا روحهم**

**عرب ..... وضاعوا**

**سقط القناع**

فتكرار صوت" العين" أعان على خلق الإحساس بالتحسر والألم الذي أحاط بنفسية الشاعر أمام تخاذل العرب اتجاه القضية الفلسطينية، فالشاعر يصور هنا سقوط هذا القناع الخادع الذي تقنع به العربيسنين طويلة، وهو يهتفبالنضال والمناضلين والثورة والتحرر، لكن هذا لم يكن سوى شعارات وهمية حيث زال هذا القناع وبانت نواياه عندما اجتاحت القوات الإسرائيلية مدينة بيروت، وأحدثت فيها مجازر إرهابية كمجزرة صبرا وشتيلا التي استشهد فيها المئات من المدنيين الفلسطينيين واللبنانيين.

**ثانيا: التنسيقات العروضية:**

انتبه النقد الحديث إلى سمات الأصوات، فرصد النقاد انتشارها وتكررها في مواضع معينة، مما يجعلها تشكل تنسيقا موسيقيا محكما، فلاحظوا أن ما يميز الجمال و التأثير في الشعر هو تكرر أشكال صوتية معينة بترتيب متشابه في البيت الواحد أو عدة أبيات من القصيدة بأكملها، فيكون هذا التكرار وفق تنسيق متصل أو منفصل، أو مفروق أو مجموع.[[6]](#footnote-7)

فالانتظام الذي يميز الإيقاع يظهر أيضا على مستوى المقاطع، إذ تتكرر أنساق صوتية معينة تتآلف وتختلف مكونة إيقاعها المتحول على الدوام.

كما أنَّ البحث في مقومات الشعر وخصائصه ذو صلة وثيقة بعلوم كثيرة مثل النحو والصرف والنقد والبلاغة والدراسات الأدبية وغيرها، ولكن الذي يعنينا في هذا المقام هو جانب الموسيقى الذي لا يمكن ضبطه إلا بمعرفة علم العروض وعلم القافية ، وهذه هي موسيقى الوزن أو الموسيقى الظاهرة ، فالأوزان التي تبنى عليها قصائد الشعر تخلق فيها إيقاعا تألفه الفطرة ونغما تلذه الأسماع، فالصلة قوية بين الشعر والموسيقى لأن كليهما يقوم على الأداء الصوتي ، والموسيقى عنصر أساسي في الشعر تقوم فيه مقام الألوان في الصورة فتحقق له الإبداع والتأثير حتى قيل ( الشعر موسيقى ذات أفكار) والموسيقى فارق حاسم بين الشعر والنثر.

1. [↑](#footnote-ref-2)
2. [↑](#footnote-ref-3)
3. [↑](#footnote-ref-4)
4. [↑](#footnote-ref-5)
5. [↑](#footnote-ref-6)
6. [↑](#footnote-ref-7)